خطبة صلاة الجمعة 6/ 12/ 2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الله لطيف بعباده، فاطمئنوا)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

وقال سبحانه: ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

عنوان خطبة اليوم: **الله لطيف بعباده، فاطمئنوا**

أيها الإخوة:

حين تنزل الشدائد والمهمات، وتتتابع المحن والمشكلات، وتزداد الأخطار والمخاوف، فلا ملجأ إلا إلى الله تعالى، ولا مفزع إلا إلى عبادته، ولا سلوان إلا في كتابه.

وفي كتابه جل جلاله أسماؤه الحسنى وصفاته العليا، التي من أدمن مطالعتها وفهمها امتلأ قلبه بالإيمان واليقين، فزاد توكله، وتبددت مخاوفه، فواجه الأخطار بعزم وثبات.

من أسماء الله تعالى اللطيف، ومن صفاته سبحانه لطفه بعباده، وقد كرر ذلك في قرآنه الكريم؛ ليركن المؤمن إلى الله تعالى، ويطمئن للطفه وفضله، مهما عظمت الكروب وزادت الشدائد.

فلطف الله تعالى بالعبد يحيط به في كل شؤونه وأحيانه، ويسعفه في كل مخاطره، ويؤمنه من كل مخاوفه. ولولا لطف اللطيف الخبير لامتلأت القلوب وحشة وخوفاً ورعباً، ولما طابت بالحياة عيشاً.

ولطف الله تعالى عام وخاص، فالعام يشمل كلَّ خلقه مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم؛ فهو سبحانه خلقهم ويرزقهم ويشفيهم ويعافيهم، ويدفع عنهم؛ لأنه سبحانه ربهم فهو لطيف بهم.

ولطف خاص بأهل الإيمان يحيطهم به، ولا يقدِّر لهم إلا ما هو خير لهم ولو كرهوه؛ لأنه عليم بما يصلحهم، خبير بما ينفعهم. فإذا أصابهم بما يحبون لطف بهم فرزقهم الشكر عليه ليتضاعف أجرهم، ويبارك لهم فيما رزقهم، وإن أصابهم بما يكرهون لطف بهم فأنزل عليهم الصبر والرضا ليوفوا أجرهم بغير حساب ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

فكَمْ للهِ مِنْ لُطفٍ خَفيٍّ ... يَدِقُّ خَفاهُ عَنْ فَهمِ الذَّكِيِّ

وكمْ يُسرٍ أتَى مِن بَعدِ عُسرٍ ... ففرَّجَ كربةَ القلبِ الشَجِيِّ

وكمْ أَمرٍ تُساءُ بهِ صَباحَاً ... فتأتِيكَ المسَرةُ بالعَشيِّ

إذا ضاقتْ بكَ الأحوالُ يوماً ... فثِقْ بالواحدِ الفردِ العليِّ

ولا تجزعْ إذا ما نابَ خطبٌ ... فكمْ للهِ مِن لُطفٍ خَفيٍّ

أيها الإخوة:

لطفُ اللهِ تعالى يدورُ على معنيين عظيمين نحتاجهما جميعاً، **أولهما**: أنّ علمه سبحانه دقَّ ولَطُفَ حتى أدرك السرائر والضمائر والخفايا، **وثانيهما**: أنه يوصل لعباده مصالحهم، ويدفع عنهم ما أهمهم من أخطار بطرق لا يشعرون بها ولا يتوقعونها، وكم في هذين المعنيين من طمأنينة لقلوب المؤمنين، وربط عليها، وتثبيت لها.

وفي المعنى الأول الدال على دقة علم الله تعالى قوله تعالى على لسان لقمان الحكيم: ﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

وفي المعنى الثاني الدال على إيصال المصالح لعباده من حيث لا يشعرون ولا يتوقعون، قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام بعد أن أنجاه من الجب والرق والسجن وفتنة امرأة العزيز وجَعَلَه عزيز مصر قال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100].

اللطيف: اســـم من أسماء الله تعالى، ومعناه الرفيق بعباده، كما قاله الإمام القرطبي، وقال الخطابي: اللطيف: هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويســـبب لهم مصـــالحهم من حيث لا يحتسبون.

قال الإمام الجنيد: اللطيف من نور قلبك بالهدى، وربى جسمك بالغذاء، وجعل لك الولاية في البلوى، ويحرسك وأنت في الكرى، ويدخلك جنة المأوى.

وفي المعجم الوسيط: اللطيف هو البَرُّ بعباده، الرفيقُ بهم، العالم بخفايا الأمور ودقائقها.

وقالوا: اللطيف هو الذي إذا ناديته لباك، وإذا قصدته آواك، وإذا أحببته أدناك، وإذا أطعته كَفاك، وإذا عصيته أعفاك، وإذا أعرضت عنه دعاك، وإذا قرُبت منه هداك.

قال مقاتل: لطيف بالبر والفاجر، حيث لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم.

وقيل: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب.

وقيل: هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل.

وقيل: هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير.

وقيل: هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه.

وقيل: هو الذي لا يرد سائله ولا يوئس آمله.

وقيل: هو الذي يعفو عمن يهفو.

وقيل: هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه.

أيها الأخ الكريم:

مَن الذي أخرجك جنيناً من بين المهالك، ومن الذي حفظك وغذاك من قبل أن تسأله ذلك؟!

أليس هو اللطيف؟

أتخاف أن يتركك إذا أحاطت بك الخطوب، أو نزلت بك الكروب! اطمئن فإن معك اللطيفَ الخبير.

أيها الأخ الكريم:

مَن الذي ألهمك عند انفصـــالك التقام ثدي الأم من غير تَعْلِيم، ومَن الذي جمّل صـــورتك وكمّل خلقتك في أحسن تقويم؟

أليس هو اللطيف؟

أتخاف أن ينساك في البلوى، وألا يسمع الشكوى!

اطمئن فإن معك اللطيفَ الخبير.

أيها الأخ الكريم:

مَن الذي أساغ لك ابتلاعَ اللقمة من غير كلفة وَقد تعاون على إصلاحها خلق لَا يُحْصى عَددهمْ من مُصلِحِ الأَرْض وزارعِها وساقيها وحاصدِها ومنقيها وطاحنِها وعاجنِها وخابزِها وحاملِها ومقدمِها؟

أليس هو اللطيف؟!

أتخاف الفاقة وأنت عبدُه نفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته؟ اطمئن فإن معك اللطيفَ الخبير.

أيها الأخ الكريم:

والله ثم والله ثم والله، لو كُشف الغطاءُ عن ألطاف ربنا سبحانه بعباده وبره بهم وصنعه لهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون لذابت قلوبهم حباً له، وشوقاً إليه، ولخروا ساجدين بين يديه، ضارعين شاكرين إليه، ولكنها الأهواءُ حجبت القلوب عن مشاهدة المنن، والشياطينُ حجبت العباد عن لزوم أمر المنعم سبحانه وذكرِه.

أيها الإخوة:

إنّ اسم الله اللطيف بمعناه الأول وهو دقة العلم والإحاطة بكل شيء صغيراً كان أم كبيراً، يدعونا لمراقبته عز وجل، ومحاسبة أنفسنا على كل قول وفعل من قبل أن نُحاسَب.

وإنّ اسم الله اللطيف بمعناه الثاني وهو إيصال المصالح للعباد ودفع المهالك عنهم، يدعونا للشكر في النعماء والصبر في الضراء وعدم الجزع عند نزول البلاء.

يحكى عن أحد الصالحين أنه قال: "أدركتني ضائقة وخوف، فخرجت هائماً، فاشتدّ بي العطش والحر، فجلست مستقبلاً القبلة، فغلبتني عيناي وأنا جالس، فرأيت شخصاً في المنام فمدَّ يده إليَّ وصافحني، وقال لي قل: "يا لطيفاً بخَلقِهِ، يا عليماً بخَلقِهِ، يا خبيراً بخَلقِه، الطُفْ بِي يا لطيفُ يا عليمُ يا خبيرُ" ثلاثًا.

فقلتها فقال لي: إذا لحقتك ضائقة، أو نزلت بك نازلة، فقلها تُكفى وتَشفى، ثم غاب عني، فاستيقظت وأنا أقولها، فوالله ما قلتها عند ضائقة وشدة إلَّا ورأيت من لطف الله بي ما أعجز عن وصفه.

من مراجع الخطبة: (تفسير القرطبي، والمقصد الأسنى للغزالي، ولطف الله بالمؤمنين لإبراهيم الحقيل)

والحمد لله رب العالمين